الفصل الأول

الفتح الإسلامي أذربيجان

- موقعه واج روذ .
- موقعه بلنجر .
- استقرار العرب في أذربيجان .

الفتح الإسلامي لأذربيجان :-

كانت ثمة عوامل جعلت من الفتح الإسلامي لأذربيجان أمراً حتمياً ، فبالإضافة إلي نشر الإسلام وتوسيع رقعته والمحافظة على حدود الدولة الإسلامية الوليدة ، كانت منطقة آسيا الوسطى والقوقاز هي الامتداد الطبيعي والعمق الجغرافي للمد الإسلامي ، ومما زاد من أهمية وضرورة الفتح الإسلامي لها كون أذربيجان أحد مراكز الزرادشتية الرئيسية وبها كان مسقط رأس زرادشت ، وبها عدد كبير من العتبات المقدسة لدي الفرس (١) مما جعلها مأوى معظم الفرس الفارين من وجه الجيوش الإسلامية ، وغدت لها أهمية كبيرة(٢) .

وبمضي الوقت وانقضاء المراحل الأولي من الفتوحات الإسلامية ازدادت الضرورة لفتح أذربيجان لا سيما بعد مشاركة عدد من جنودها خصوم الدولة الإسلامية في حروبهم حيث شارك الأرمن والآذريون في معركة القادسية (١٥هـ / ٦٣٦م) بأعداد كبيرة (٣).

---

(١) عن تفاصيل ذلك انظر : الشهرستاني، الملل والنحل،جـ٢ص ٢٣٦ ؛ حاجي ميرزا ، زراد شت باستاني وفلسفة ، ط القاهرة ، ١٣٤٨هـ ، ص ١٥ – ١٧ ؛ بان رويكا ، تاريخ أديبات إيران ، ترجمة د/ عيسى شهابي ، طهران ١٣٥٤هـ.ش،ص١٦–١٧؛ رودلف مقنوخ ، زبانى آرامي در دوره هخامنشي ؛ مجلة دانشكده أديبات ، شماره دوم ، سال دهم،دي ماه، شماره مسلسل ٣٨، ١٣٤١ هـ . ش، ص ١٩٣ – ١٩٤ ، سيد حسن ، تاريخ زرادشت ، مجلة باد كار ، سال پنجم ، شماره هشتم ونهم ، فروردين وارد بيهشت ماه ١٣٢٨ هـ . ش ، ص ٢٧ – ٤٤ .

(٢) عن أهمية أذربيجان لحركة الفتوحات انظر : الأصبهاني ، تاريخ أصبهان ، جـ١ ، ص ٤٢ ؛ انتوني لتنج ، العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام ، ط القاهرة ، ١٩٧٤ م ، ص ٦٨ ؛ رمزية الخيرو ، الفتوحات العربية والإسلامية في بلاد فارس ، مجلة كلية الآداب ؛ جامعة المستنصرية ، العدد الثامن ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٣٨٧ – ٣٨٨ ، وللمزيد انظر .

Joseph Schacht and C.E Bosworth, the legacy of Islam, second edition, Oxford, 1979, P. 204 .

(٣) عن تفاصيل ذلك انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ٧ ، ط القاهرة ، ١٩٩٨ م . ص ٣٦ ؛ لنطون خاتجي ، مختصر تواريخ الأرمن ، ط القدس ، ١٨٦٨ ، ص ١٦٤ ؛ فايز نجيب إسكندر ، الفتوحات الإسلامية لأرمينية ، ط الإسكندرية ، ١٩٨٨ ، ص ٢١ . وللمزيد انظر :

Grosset : Histoire des L'Armenie, P. 296, Bernard lewis : The Arab in History, London, 1950, P. 53 ; David morgan: Medival persia, London, 1992, P.14 ; Hogarth : Arabia, Oxford, 1922, P. 62 .

وفي معركة اليرموك (١٥هـ/٦٣٦م) أيضاً [١] وفي نهاوند (٢١هـ/٦٤١م) [٢] .

وبالرغم من أن محاولات أرمينية وأذربيجان [٣] لم تفلح في عرقلة المد الإسلامي التنامي أو تحل دون هزيمة الفرس ودق المسمار الأخير في نعش الإمبراطورية الفارسية أو في منع إخراج الروم من الشام ، إلا أنها تركت انطباعاً لدي قواد الفتوحات الإسلامية بحتمية إخضاع هذين الإقليمين لسيطرتهم حتى لا يكونا شوكة في ظهر الدولة الإسلامية ومصدراً للقلق وعوناً لأعدائهم .

معركة واج روذ :

بعد هزيمة الفرس في نهاوند لم تقم لهم قائمة ، وبدأت المدن الفارسية تتساقط الواحدة تلو الأخرى في أيدي المسلمين ، وبدأت أذربيجان تشعر بقدوم المسلمين صوبها فقام اسفندريار حاكم أذربيجان بجمع أعداد غفيرة من الجنود ، وعسكر بهم في طريق القوات الإسلامية المتوجهة نحو أذربيجان بقيادة القائد نعيم بن مقرن [٤] والتقي بهم

---

(١) عن تفاصيل ذلك انظر:ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ٧ ، ص ٦ ؛ حسين زكي ، تاريخ الأمم الشرقية ، ط القاهرة، (د.ت) ، ص ٣٦ ، أمدرستم ، الروم في سياستهم وحضارتهم ، جـ١، ط بيروت ،١٩٥٥،ص ٢٤٤؛بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، تعريب نبيه أمين / منير بعلبكي ، ط بيروت ، ١٩٤٨ ، ص ١١٣ . وللمزيد انظر :
Hitti : Ahistory of Arab, 5 edition, London, 1951, P. 154 ; George ostrogorsky : History of the Byzantine stat, Oxford, P. 111 ; sir Johon GluB, the Empiere of the Arab, London, 1936 , P. 24 - 26 .

(٢) عن تفاصيل ذلك انظر : خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم العمري ، ط الرياض ، ١٩٨٥م ، ص ١٤٧ ، فايز نجيب إسكندر ، غزو الإمبراطورية البيزنطية لأرمينية ، ط الإسكندرية ، (د.ت) ، ص ٦ ، ايران شهر ، جلد أول، نشريه شماره ٢٢،كميسون ملى يونسكو در ايران، تهران، ١٣٦٢، ص ٣٦٢
Saunders: Ahistory of Medival Islam, London, P.5, Ghirshman: Iran from the earlest Times to the Islamic conquest, London, P. 23 .

(٣) دأب الجغرافيون العرب الأوائل على جميع أذربيجان وأرمينية إضافة الي إران في إقليم واحد أسموه الرحاب عن تفاصيل ذلك انظر : الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص١٠٨ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٣٧٣ ، حسن إبراهيم حسن ، النظم الإسلامية ، ط القاهرة ، ١٩٣٩ م ، ص ٢٠٢ ؛ سعيد الديوه ، تاريخ الموصل ، ط بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ٣٥ ؛ حسن أحمد محمود ، الإسلام في آسيا الوسطى ، ط القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٣١ .

(٤) أخو النعمان وخلفه على قيادة الجيش في نهاوند فأعطي القيادة لحذيفة بن اليمان . عن ذلك انظر ابن عبد البر ، الاستيعاب ، جـ٣ ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط القاهرة ، (د.ت) ، ص ٥٢٨ ، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ط بيروت،١٩٨٨،ص٥٣٦؛ابن الأثير،الكامل في التاريخ، جـ٣ ، ط بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٢٢ .

في مكان يسمي واج رود [١] وحاول مفاجاة القوات الإسلامية وأخذهم على حين غرة غير انه فشل في ذلك ، وحاقت به وبجنوده الهزيمة واضطر إلي الفرار من وجه القوات الإسلامية [٢] .

وبعد هذا الانتصار الذي تحقق في واج رود فقد وضع المسلمون خطة لتطويق أذربيجان عبر جبهتين حتى تكون أذربيجان بين فكي كماشة فانطلق إليها جيشين : الأول بقيادة بكير بن عبد الله [٣] وانطلق بقواته عبر جنوب أذربيجان ، وواجه في سيره مقاومة شديدة في عدد من جيوب المقاومة الفارسية المتبقية ، مثل تلك التي كانت في منطقة جبال جرميذان [٤] حيث يتمركز مرزبان أذربيجان بأعداد غفيرة من جنوده وعساكره ودار قتال عنيف بين الفريقين خرج المسلمون منه منتصرين وفي أسرهم المرزبان نفسه وعدد كبير من الأسرى ، وبلغ من شدة وعنف هذه المعركة أن عدد قوات المسلمين قد قلت بدرجة احتاجوا فيها إلي الإمدادات التي جاءت إليهم يقودهم سماك بن خرشة [٥] .

وبعد وقوع اسفنديار مرزبان أذربيجان في أسر المسلمين أشار عليهم أن يؤجلوا عقد الصلح بين الطرفين إلي أن يتم فتح بقية أذربيجان والوصول إلي العاصمة أردبيل [٦].

---

(١) واج رود:موضع سهلي في المنطقة الممتدة بين همدان والدينور . انظر : الحموي ، معجم البلدان،مجـ٤،ص ٤٣٠ .

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٢ ، ص ٥٣٦ ، محمد الخضري ، تاريخ الدولة الأموية ، ط القاهرة ، (د.ت)، ص ٣٢٦ ، عبد الوهاب النجار ، تاريخ الإسلام ، ط القاهرة ، (د.ت) ، ص ١٥٦؛ محمد رشيد،الفاروق عمر ، ط بيروت ، ١٩٨٤ ، ص ٣٠٧ .

(٣) بكير بن عبد الله : أحد قادة الفتوحات الإسلامية ، وكان له دور كبير في فتوحات فارس وأذربيجان . عنه انظر : الطبري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٥٣٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٣ ، ص ٢٧ ــ ٢٨ .

(٤) جبال جرميذان : منطقة جبلية جنوبي أذربيجان ، تقع في المنطقة الفاصلة بين أذربيجان وإقليم الجبال . انظر : الحموي ، معجم البلدان ، مجـ٢ ، ص ٥٠ .

(٥) سماك بن خرشة : أحد صحابة النبي صلي الله عليه وسلم ، كان له دور بارز في فتوحات العراق ، وكان ضمن الوفد الذي حمل أموال الكوفة وقدم بها المدينة ، عن ذلك انظر : الطبري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٥٣٩ ــ ٥٤٠ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، جـ٢ ، ص ٨٢ .

(٦) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٥٣٩ ــ ٥٤٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل جـ٣ ، ص ٢٧ ــ ٢٨ ؛ ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق خليل شحاته ، جـ٢ ، ط بيروت ، ١٩٨٨م ، ص ٥٦١ . وللمزيد انظر :
Haurt : Histoire des Arab, Tome1, Paris, 1912, P. 252 .

وقد أصاب بكير بن عبد الله حينما أخذ بهذا الرأي ، إذ أن الاحتفاظ به أسير إلي حين الانتهاء من العمليات العسكرية سوف يفت في عضد قواده ويحبط روح المقاومة عند بقية الآذريين ، فلا يلجون إلي الجبال المحيطة بأردبيل لتشكيل أفواج من المقاومة كما أن قتله سوف يؤدي إلي ردود فعل عنيفة وتصعد من روح المقاومة ومحاولة الانتقام .

وبعد أن تلقي بكير بن عبد الله الإمدادات بدأ في التحرك بالجيش عبر جنوب أذربيجان صوب أردبيل (١) .

وعلى الجبهة الثانية لفتح اذربيجان أتت إليها القوات الإسلامية مباشرة من الشام بقيادة عتبة بن فرقد (٢) الذي توغل في القرى والمدن الجنوبية الغربية لأذربيجان وفي الطريق إليها التقي بقوات آذرية بقيادة بهرام بن الفرخزاذ أخو اسفندريار فاستطاع عتبة من دحر هذه الجموع وردها على أعقابها ، ثم واصل مسيره نحو أردبيل (٣)

والتقت القوات الإسلامية على مشارف أردبيل وآلت القيادة العامة إلي عتبة بن فرقد ، ودارت معارك ومناوشات بسيطة قبل دخول المسلمين أردبيل ؛ حيث أطلق عتبة بن فرقد سراح مرزبان أذربيجان وعقد معه الصلح وأعطاه وسكان أذربيجان الأمان (٤)

---

(١) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٢ ، ص ٥٣٩ ـ ٥٤٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٣ ، ص ٢٧ ـ ٢٨ ، ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٢ ، ص ٥٦١ ؛ السيد محمد يونس ، الفتوحات وأثرها في نشر الإسلام ، ط المنصورة ، ١٩٨٨ ، ص ١٥٧ ؛ وللمزيد انظر :

The Cambridge History of Iran, Vol.4 , Cambridge, P. 20

(٢) عتبة بن فرقد : شهد مع النبي ﷺ بعض الغزوات ، وبعد فتحه أذربيجان عاد إلي الكوفة وأقام بها إلي أن مات . انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ٦ ، ط بيروت ، (د.ت) ، ص ٤١ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق محمد إبراهيم البنا / محمد عاشور ، جـ٣ ، ط القاهرة ، ص ٥٦٧ ؛ العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ٤ ، ط بيروت ، ص ٢١٦ ؛ الزبيدي الحنفي ، إيضاح المدارك في الإفصاح عن العواتك ، مخطوط بمكتبة الإسكندرية ، برقم ٥١٥٧ / ج تاريخ ، ورقة ٩ .

(٣) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٥٤٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٣ ، ص ٢٨ ، وللمزيد انظر :

Muir : The Caliphat, its Rise and fall, Edinburgha, 1951, P. 175

(٤) عن صيغة هذا الأمان انظر الملاحق ملحق رقم (١) .

على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم مقابل دفع الجزية (١).

وبالنظر إلي ما سبق نجد أن القوات الإسلامية في طريقها لفتح أذربيجان اتبعت منهجاً وخطة تحرك منظمة تدل على عقلية عسكرية فذة ، إذ أن القوات التي سلكت طريق الجنوب الشرقي لأذربيجان كانت تهدف ليس لفتح أردبيل وحدها بل ولتعقب الفارين من معارك نهاوند والقادسية ومطاردة أذيال الدولة الفارسية التي لجأت إلي مدن وقرى أذربيجان ، أما القوات الإسلامية التي سارت في الطريق جنوب غرب أذربيجان كانت تهدف على ما يبدو لقطع أي محاولة من الآذريين للاتصال بالأرمن أو الدولة البيزنطية وللمساعدة في فتح أردبيل كما يلاحظ أن قيادة القوات الإسلامية تسير وفق سلاسة ونظام وبلا أدنى مشكلة ، فكانت تؤول من قائد لآخر وفق تسلسل منظم .

وبعد الاستيلاء على أردبيل تفرقت القوات الإسلامية في بقية أجزاء أذربيجان الشمالية وتوغلت في مناطق جبال القوقاز ، فاستغل مرزبان أذربيجان ذلك التفرق وقام بجمع عدد كبير من المقاتلين وأعاد تنظيمهم وتسليحهم ، وأعلن التمرد ونقض عهد الأمان قبل أن يجف مداده (٢).

وهذا التمرد يعتبر نذير خطر على القوات الإسلامية المتفرقة في أنحاء أذربيجان وجبال القوقاز لأن محاولة تجميعها وتوحيدها أمر صعب وإن تم فإنه يحتاج إلي وقت طويل ، ومما زاد من صعوبة وخطورة هذا التمرد انقطاع الاتصال بين هذه القوات المتفرقة

---

(١) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ١٣٩ ؛ ابن الدم الحموي ، التاريخ الإسلامي ، تحقيق حامد زيان ، جـ١ ، ط القاهرة ، ص ١٤٤ ؛ يوسف الدبس ، تاريخ سورية ، جـ٥ ، ط بيروت ، ص ١٣ ؛ المتوم محمد يوسف ، فتح اقليم السند وانتشار الثقافة العربية،مجلة المؤرخ المصري ، العدد الرابع،١٩٨٩، ص ٥٦ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان ، ط القاهرة ، ١٩٣٢ م ، ص ٣٢١ ؛ القلقشندي ، مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد فرج ، جـ١ ، ط بيروت ، ص ١٩ ؛ الدوري ، درر تيجان وغرر تواريخ الأزمان ، مخطوط بمكتبة الإسكندرية تحت رقم ٣٨٢٨ / ج تاريخ ، ورقة ٥٢ ، جون جلوب ، الفتوحات العربية الكبرى ، تعريب خيري حماد ، (د.ب.ن) ، ص ٣٩١ .

ومستودع الإمدادات في الكوفة [١] وحتى لا تكون هذه بداية لسلسلة من التمرد في تلك المنطقة لذا رأينا عمر بن الخطاب يسارع بتكليف المغيرة بن شعبة [٢] والي الكوفة بسرعة إرسال حذيفة بن اليمان [٣] بقسم من جيوش الكوفة لقمع هذا التمرد ، فامتثل حذيفة للأمر وتقدم بجيوشه سنة ٢٢هـ / ٦٤٢ م ، فلما وصل أردبيل ، وجدها قد تحصنت فضرب عليها الحصار ، إلى أن خارت قوى المتحصنين بداخلها وطلبوا إجراء الصلح فوافق حذيفة على منحهم الأمان مقابل دفع الجزية السنوية [٤] .

وبعد السيطرة على أردبيل كانت الخطوة التالية هي تأمين الوجود الإسلامي في أذربيجان ، ولن يكون ذلك إلا بالسيطرة على بقية المدن والقرى المحيطة بها وتأمين الممرات الجبلية المطلة عليها ، لذا فقد كلف المغيرة بن شعبة القائد سراقة بن عمرو [٥]

---

(١) كانت أذربيجان تابعة للكوفة سياسيا وعسكريا وإداريا زمن الخلفاء الراشدون ، وكان بالكوفة لهذا الغرض ٤٠ ألف مقاتل منهم ٦ آلاف يغزون أذربيجان سنويا . عن تفاصيل ذلك انظر : ابن الأثير : الكامل ، جـ٣ ، ص ٣٠ ؛ شكري فيصل ، حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول ، ط القاهرة ، ١٩٥٢م ، ص ١٤٩ ؛ صلاح التيجاني ، الخيل ودورها في الجهاد وحركة الفتح الإسلامي إلى نهاية عهد عمر بن الخطاب، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الآداب والعلوم الإنسانية ، المجلد الأول ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص ٢٤٠ .

(٢) المغيرة بن شعبة : أحد الصحابة الأجلاء له موقف مشهود مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ، تولى أذربيجان لعمر ثم عزله عثمان عنها ؛ عن ذلك انظر، ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، مجـ١ ، ط بيروت ، ١٩٨٦ م ، ص ٣٤٦ ، محمد مختار الهلمي ، التوفيقات الإلهامية ، ط القاهرة ، ١٣٩١هـ ، ص ١٢ ، بكر محمود محمد ، المغيرة بن شعبة وولايته على الكوفة ، رسالة ماجستير ، جامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية بالقاهرة ، قسم التاريخ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦ م .

(٣) حذيفة بن اليمان : أصله من اليمن ولما هاجر إلى المدينة عد نفسه من الأنصار ، له مناقب ومواقف مشهودة في الإسلام ، شهد فتوح همدان والري والدينور ، عنه انظر : البخاري ، التاريخ الكبير ، جـ٣ ، ط بيروت ، ١٩٨٦ م ، ص ٣٦٧ ــ ٣٦٨ ، المقدسي ، أسماء المحدثين ، جـ١ ، ط الكويت ، ١٩٩٣ ، ص ٢٩ ؛ حامد غنيم ، أضواء على قادة الصف الثاني من الفتوحات الإسلامية ، مجلة منبر الإسلام ، السنة ٦٠ ، العدد ٦ ، جمادى الآخرة ، ١٤٢٢هـ / سبتمبر ٢٠٠١ ، ص ٥٢ .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢١ ؛ عصر أبو النصر ، الفتوحات العربية في سورية ، ط سورية ، ١٩٤٥ م ، ص ٩٩ ، فلهوزن ، الدولة العربية ، تعريب محمد عبد الهادي ، ط القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ١٠٩ ، سيد حمال ، آثار باستاني آذربايجان ، جلد دوم ، ص ١٠ ، آلماي رشيد ، كردبيوستكي ثرادي وتاريخي آد ، جاب دوم ، تهران ، ص ١٧٧ .

Paul Icmerel : Histoire de Byzance , Parise, 1948, P.70 ; Bryce lyon : Ahistory of the westem world , Vol.4 , chicago, P.37 .

(٥) سراقة بن عمرو لم ينسب ، يلقب بذا النور ، من جلة الصحابة له دور بارز في فتوحات أرمينية وأذربيجان ، ومات غازيا في أرمينية ، عن ذلك انظر ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ٢ ، ص ٣٣٠ ؛ رفيق العظم ، أشهر مشاهير الإسلام في الحروب والسياسة ، ط القاهرة ، ص ٦٦٥ ؛ أحمد زيني دحلان ، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ، ط القاهرة ، ص ١٠٧ ــ ١٠٨ .

بهذه المهمة ، وأمده بقسم من قوات المسلمين المرابطة في أردبيل بقيادة عبد الرحمن بن ربيعة (١).

وتقدمت القوات الإسلامية ونجحت في السيطرة على عدد من المدن والقرى واستولت على الممرات الجبلية المحيطة بأردبيل ثم قصدت مدينة باب الأبواب أحد المدن الرئيسية التي تسيطر على الطريق المؤدي إلي أردبيل ، فخرج إليهم حاكمها شهربراز طالباً الأمان وأعرب لقادة المسلمين عن مدى بغضه للخزر والقبج (٢) وعرض عليهم التسليم ومد يد العون لهم في حروبهم ضد الخزر والقوقازيين مقابل الإعفاء من الجزية (٣).

لما رأي سراقة بن عمرو حكمة وعقل هذا الأمير أعفاه من الجزية نظير معاونته جيوش المسلمين في حروب مناوئيهم ، ومن لم يقدم المساعدة فلابد له من دفع الجزية ، وأقر عمر بن الخطاب هذا الأمر ، وصار ذلك الرأي سنة متبعة ، وكتب لهم سراقة بن عمرو كتاب أمان بذلك (٤).

ويبدو لنا أن حاكم مدينة باب الأبواب كان عاقلاً حكيماً ، رأي العبرة في غيره ولم يقبل أن يكون عبرة لسواه وآثر السلامة ، فقد رأي المسلمون قد غلبوا على فارس وغيرها – وإن كان في بلد منيع وعنده من الحماة من يقدر على الامتناع مدة – فأحب

---

(١) عبد الرحمن بن ربيعة تولي لعمر قضاء حيش القادسية وقسمة الخراج والفيء فيها له دور بارز في الحرب مع الخزر عن ذلك انظر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ٤ ، ص ١٥٨ – ١٥٩ ؛ الأشعري القرطبي ، التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب ، تحقيق سعيد عبد المقصود ، ط القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص ٩٤ ، عمر رضا كحالة ، معجم قبائل العرب ، جـ١ ، ط دمشق ، ١٩٤٩ ، ص ٦٠

(٢) وردت لفظة القبج دائما في كتب الجغرافيا والتاريخ العام مرادفة للفظة التبق أو التوقاس ، انظر ، ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٢٤ ؛ الحواليقي ، المعرب من الكلام الأعجمي ، ص ١١٩ ، والقوقاز حاليا هو المنطقة الممتدة بين بحر قزوين شرقا والإسود وأزوف غربا – عن ذلك انظر احسان عبد الحميد الشيشان حرب إبادة ، ط سورية ، ١٩٩٧ ،ص٧ اسعيد بينو ، الشيشان ، ط الأردن ، ١٩٩٧ ، ص ٢٠ – ٣٩ ، مصطفي دسوقي كسبه ، الشيشان ، ملحق مجلة الأزهر ، ذي القعدة ١٤١٥هـ ، ص ٢٣ – ٣٥.

(٣) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٢ ، ص ٥٤٠ – ٥٤٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٣ ، ص ٢٨ ؛ يوسف عزت ، تاريخ القوقاس ، تعريب عبد الحميد غالب ، ط القاهرة ، ١٩٣٣ ، ص ١١ .

(٤) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٥٤٠ – ٥٤٣ ؛ عبد الوهاب النجار ، تاريخ الإسلام ، ص ١٦٧

أن يبقي على نفسه ومن معه من الرجال والذرية والنساء وأن يتركوا على حال عافيه ليكون ذلك أبقي لهم عاقبة وأعون على مصاولة من ورائهم من الأعداء .

وبدأ المسلمون يولون اهتمامهم للسيطرة على المناطق الجبلية المحيطة بأردبيل فخرجت عدة فرق عسكرية إلي نواح مختلفة . فتقدم بكير بن عبد الله نحو موقان (١) وتمكن من فتح هذه المدينة وفرض علي أهلها الجزية وكتب لأهلها أمان أورد الطبري (٢) وقاد حبيب بن مسلمة (٣) فرقة وتوجه بها نحو مدينة تفليس والمناطق الجبلية في اللان (٤) وتقدم سلمان بن ربيعة (٥) إلي مناطق الجبال لمواجهة ملك جبال اللان ولم تستغرق هذه الحملات كثيراً من الوقت والجهد وعادت سريعاً إلي مناطق تمركزها في أردبيل بعد أن ارتضت من حكام هذه المناطق بالجزية السنوية (٦).

وعلى ما يبدو أن حملات المسلمين على مناطق الجبال في أذربيجان لم تكن فتحاً منظماً بالمعني الكامل ، إذ أن هذه القوات ما لبثت أن عادت إلي مراكزها الرئيسية في أردبيل ، بعد أن ارتضوا من حكام هذه المناطق بالجزية والاعتراف بسيادتهم على هذه

---

(١) موقان : إلي الشمال من أردبيل وتقع ضمن أعمالها ، لنظر : المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٣٧٨ ؛ الحموي ، معجم البلدان ؛ مجـ٤ ، ص ٣٤١ .

(٢) ونص الأمان على " بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطي بكير بن عبد الله أهل موقان من جبال القبج الأمان على أنفسهم وأموالهم وملتهم وشرائعهم على الجزاء - الجزية - دينار على كل حالم ، وقيمته ودلالة المسلم - أي هدايته في الأسفار - ونزله يومه وليلته - أي ضيافته - . " تاريخ الأمم والملوك ، ٤ / ١٧٥

(٣) حبيب بن مسلمة : ينتهي نسبة إلي فهر بن مالك ، يقال له حبيب الروم لكثرة حروبه ونكايته فيهم . عنه انظر : الزبيري ، نسب قريش ، ط القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ٤٤٧ ؛ ابن العربي ، العواصم من القواصم ، تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلي الله عليه وسلم ، تحقيق محمد محب الدين الخطوب ، ط الرياض ، ص ٢٤٤ .

(٤) اللان : إلي الشمال الغربي من أردبيل ، وتتميز بحصانتها ومنعتها الحربية ، لنظر : ابن الوردي ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، ص ٥٢ ؛ فايز نجيب إسكندر ، الفتح الإسلامي لبلاد الكرج ، ط الإسكندرية ، ١٩٨٨ ، ص ٣٦ – ٣٧ .

(٥) سلمان بن ربيعة : ولي قضاء الكوفة لعمر بن الخطاب ، كما ولي له خيل الكوفة ولذا سمي سلمان للخيل ، له صولات في الحرب في أذربيجان وفتوح الشام . انظر : الدينوري ، المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة ، ط٤ القاهرة،١٩٦٩، ص٤٣٣؛السيوطي، الوسائل في معرفة الأوائل، تحقيق إبراهيم الدوي، ط القاهرة ، ص ١٠٨ .

(٦) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٢ ، ص ٥٤٠ – ٥٤٣ ؛ رانسيمان ، الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، ط القاهرة ، ص ٣٥٥ .

المناطق ، ولم تتعد هذه الحملات كونها مجرد حملات استطلاعية لاستكشاف المنطقة ودراسة جغرافيتها تمهيداً لإعادة فتحها فتحاً منظماً في مراحل لاحقة ، ولقادة المسلمين كامل الحق في هذا الأمر إذ أن معلوماتهم عن هذه المناطق تعتبر شبه معدومة لتنائي أطرافها وطبيعتها الجبلية الوعرة ، وصعوبة تأقلم المسلمين مع مناخها القارص البرودة وهذه أسباب تشكل عائقاً أمام استقرار ومرابطة القوات الإسلامية على الأقل في هذه المرحلة المبكرة .

وبعد وفاة سراقة بن عمرو استخلف عمر بن الخطاب على أذربيجان عبد الرحمن بن ربيعة ، وأرسل إليه يأمره بالاستعداد لغزو بلاد الخزر وفتحها (١).

وتقدم عبد الرحمن بالجيش وتوغل في مناطق الخزر الجنوبية واستولي على عدد كبير من المدن والحصون ، وساعده على ذلك فرار الخزر من وجه القوات الإسلامية فاستغل ذلك وتقدم شمالاً إلي أن استولي على عاصمة بلاد الخزر مدينة البلنجر الحصينة (٢) وأصبحت الساحة خالية أمام القوات الإسلامية للسيطرة على ما تبقي من مدن وحصون الخزر ، وأخذ عبد الرحمن يعد العدة لهذا الأمر ولكن أتت الرياح بما لا تشتهي السفن ، إذ أن وفاة عمر بن الخطاب قد ألغت كل الخطط واضطرت عبد الرحمن بن ربيعة إلي العودة أدراجه إلي أذربيجان والمرابطة فيها إلي حين ورود تعليمات أخرى (٣).

---

(١) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٥٤٠ ـ ٥٤٣ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٣ ، ص ٢٩ .

(٢) البلنجر : عاصمة بلاد الخزر وأكبر مدنهم وتقع الي الشمال من مدينة باب الأبواب ، شهد فتحها عدد من الصحابة منهم سلمان الفارسي . ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٢٤ ؛ الحموي ، معجم البلدان ، مجـ١ ، ص ٣٨٦ ـ ٣٨٧ ؛ البكري ، معجم ما استعجم ، جـ١ ، ص ٢٧٦ .

(٣) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٢ ، ص٥٤٢ ـ ٥٤٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٣ ، ص ٢٩ ـ ٣٠ ؛ السيد محمد يونس ، الفتوحات وأثرها في نشر الإسلام ، ص ١٥٨

ومن الملاحظ أن هذه الحملة التي خاضها عبد الرحمن بن ربيعة على بلاد الخزر كانت سهلة ولم يقابل فيها مقاومة تذكر على عكس المتوقع ، إذ أن المعلوم عن الخزر هو شدة البأس والتمرس في القتال وهذا ما جعل حاكم مدينة باب الأبواب يتعجب من محاولة المسلمين غزو بلاد الخزر (١) ولكن يجب أن نذكر أن محاولة غزو الخزر جاءت في فترة قمة المد الإسلامي الذي شهدته الدولة الإسلامية في نهاية فترة خلافة عمر بن الخطاب ، ولقد ساعد على سهولة هذه الحملة الخوف والرعب الذي تملك خصوم الدولة الإسلامية حتى لقد سرت بينهم أقاويل حاولت حد الأساطير في أن المسلمين إنما نزلوا من السماء ولا يموتون ولا طريق للأسلحة معهم ولم تتحقق لهم الانتصارات إلا بذلك (٢) .

وفي عهد عثمان بن عفان (٢٣ – ٣٥هـ / ٦٤٤ – ٦٥٦م) حدث تغير كبير في الخريطة السياسية والعسكرية للدولة الإسلامية ، طال هذا التغيير أذربيجان ، إذ تم تعيين الوليد بن عقبة بن أبي معيط (٣) والياً على الكوفة ، واستناب بدوره على أذربيجان الأشعث بن قيس الكندي (٤) .

---

(١) لما علم حاكم مدينة باب الأبواب بمقصد القوات الإسلامية قابل عبد الرحمن قائد هذه القوات وحاول استدراجه عن هذه الوجهة خوفا عليهم من شدة بأس الخزر وقال له : " إنا لنرضي منهم أن يدعونا في بلادنا ولا يقربونا ، فقال له عبد الرحمن ولكنا لا نرضي منهم ذلك حتى نغزوهم في ديارهم " وأظهر له عزمه وتصميمه لتبدة السياسية على غزو بلاد الخزر ، عن تفاصيل ذلك انظر الطبري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٥٤٢ – ٥٤٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٣ ، ص ٢٩ – ٣٠ ؛ يوسف حرث ، تاريخ القوقاز ، ص ٣٤

(٢) عن تفاصيل ذلك انظر الطبري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٥٤٢ – ٥٤٣ ، السيد محمد يونس ، المرجع السابق ، ص ١٥٨ – ١٥٩ .

(٣) الوليد بن عقبة أخو عثمان بن عفان لأمه أسلم يوم فتح مكة ، تولى لأبي بكر صدقات بني سعد ، وشهد اليرموك والقادسية ، ولعمر صدقت تغلب وقيادة بعض فرق لعسكرية وللمزيد انظر ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ٦ ، ص ١٢٤ ؛ ابن عساكر ، شرح العيون ، تحقيق محمد أبو الفضل ، طـ بيروت ، ص ٢٤٦ ؛ بن عبد ربه ، تاريخ الخلفاء ، طـ بيروت ، ص ١٠٨ ، البلاذري ، سلاب الأشراف على والحسن والحسين ، ص ١٢٩٠ هـ ، ص ٣٣ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ العرب عند ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية ، طـ القاهرة ، ١٩٧٤ م ، ص ٢٧٧

(٤) الأشعث بن قيس أسلم سنة ١٠هـ/٦٣١م،وكان ممن ارتد، ثم عاد الى الإسلام ، شهد اليرموك والقادسية ، وجلولاء ونهاوند ، للمزيد انظر ابن سعد ، المصدر السابق ، جـ٦ ، ص ٤٢ ؛ الدينوري بكري ، تاريخ الخميس ، جـ٢ ، طـ بيروت ، ١٩٨٤م ، ص ٢٨٩ ؛ ابن سلام ، الأموال ، تحقيق محمد خليل ، طـ القاهرة ، ١٩٧٥ م ، ص ٧٠ ؛ ابن عزم ، جمهرة الإعلام بمعارف الأعلام ، جـ١ ، مخطوط بمكتبة الإسكندرية برقم ١٩٤٢ / ب تاريخ ، ورقة ٤

ولم يمض وقت طويل على الولاة الجدد حتى انتقضت المناطق الجبلية المحيطة بأذربيجان وسري هذا الانتقاض إلي مناطق كثيرة حتى شكل خطراً داهماً على القوات الإسلامية المرابطة في أذربيجان ، ولذا رأينا عثمان بن عفان يسرع بتكليف الوليد بن عقبة في سنة ٢٥هـ / ٦٤٥م بسرعة تحرك القوات الإسلامية لتدارك هذا الخطر ، فأسرع الوليد وتحرك بجيش الكوفة وضم إليه قوات أردبيل المرابطة هناك إلي أن استطاع أن يسيطر على المناطق المنتقضة ويعيدها إلي سيطرة الدولة الإسلامية (١) .

وقبل أن يعود إلي الكوفة فإن الوليد بن عقبة أراد أن يطمئن إلي الاستقرار في أذربيجان ، فترك حامية عسكرية كبيرة تحت تصرف واليها الجديد الأشعث بن قيس الكندي يستطيع بها فرض سيطرة الدولة الإسلامية على أذربيجان وما حولها من مدن وقرى وممرات جبلية (٢) .

وقد نجحت هذه الحملة نجاحاً كبيراً وتحققت منها مكاسب كثيرة ، أهمها أن أذربيجان قد نالت استقراراً كبيراً تجلي ذلك في قيام الأشعث بن قيس بعمل له أهميته الكبيرة ، حيث ذكر البلاذري (٣) أنه قام بإسكان مدينة أردبيل أناساً من العرب المسلمين وأمرهم بدعوة الناس للإسلام .

وهذا العمل له أهميته من الوجهة السياسية والعسكرية ، إذ أن استيطان العرب أذربيجان يعني تأمين المكاسب السياسية للدولة الإسلامية ضد محاولات التمرد من سكان

---

(١) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ١٥٧ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، حـ٣ ، ط القاهرة ، ١٣٦٨هـ ، ص ١٨٢ ؛ حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي ، ط القاهرة ، ١٩٣٥م ، ص ٢٢٧ وللمزيد انظر :
Muire : The caliphat, P. 203 ; Hiti : A History of syria, London, 1951, P. 429 .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٣ ــ ٣٢٤ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٢ ، ص ٥٩٢ ــ ٥٩٣ ؛ القرشي ، معالم القربة في أحكام الحسبة ، ط كمبردج ، ١٩٣٧ م ، ص ٣٤ ؛ أحمد عطية الله ، حوليات الإسلام ، ط القاهرة ، (د.ت) ، ص ٢٨ .

(٣) فتوح البلدان ، ص ٣٢٤ .

المدينة والمناطق المجاورة لها ، ومما لا شك فيه أن هؤلاء السكان الجدد – في حالات الطوارئ – سيكونون مستودعاً لمد الجيوش الإسلامية بما يحتاجونه من جنود .

ومن الوجهة العقدية يكتسب أهميته من أن الهدف الأساسي هو دعوة الناس للإسلام عن طريق الاتصال المباشر والمعاينة المنفتحة .

وتعتبر هذه الخطوة تغييراً في مجري العلاقات بين الدولة الإسلامية وبين سكان أذربيجان لأن الدولة الإسلامية لم تعد تخاطب أذربيجان من خلال ممثل سياسي لها قد يكون من مصلحته حجب الرغبة الحقيقية لسكانها عن الدولة الإسلامية ، بل عمدت إلي الاتصال المباشر بالسكان لا على المستوي السياسي أو الرسمي بل عن طريق القاعدة العريضة وأغلبية الناس .

ومما لا شك فيه أن وجود المسلمين في بلاد أذربيجان ومخالطتهم لأهلها أدي لزيادة اعتناق أهل أذربيجان للإسلام وذلك لما لمسوه في المسلمين من سماحة وحسن معاشرة ويروعدل ، حيث لم يكن فتح المسلمين لهذه البلاد مجرد فتوحات عسكرية لاستغلال الشعوب علي طريقة الإستعمار الأوربي في العصر الحديث ، إنما كان فتحا دينيا لغويا وثقافيا .

ومن الجدير بالذكر أن انتفاضات أهل أذربيجان ومناطق القوقاز لا ترجع إلي ظلم وقع عليهم من المسلمين ولكنه الشعور القومي الذي كان لديهم في ذلك الوقت قويا غلابا ، وربما كان عند الكثير منهم فوق المنافع والمصالح . ولا يغيب عن بالنا أن أمة عريقة الحضارة والمجد كأمة الفرس لن تذعن منذ بادي، الأمر لسلطان الأجانب عنها ، وقد احتاط المسلمون لكل انتفاضة يمكن أن تقوم بها طائفة من أبناء أذربيجان وأقاموا المسالح في شتي أرجائها لإدراك المسلمين أن الشعور بالكرامة أقوي أثرا في النفوس من كل

شعور، ولن تستطيع كبحه إلا قوة تضطر الثائر لمهانة نزلت به أن يختار بين كرامته وحياته ونجعل الشعور بالكرامة وغريزة الحياة يقفان وجها لوجه ....ولقد كان لهذه الوقفة أثر بعيد في حياة الشعب الأذربيجاني أدت به أن يدين بالدين الإسلامي، ومع هذا كان الشعور القومي باعثا علي الثورات والانتفاضات خصوصا في فترات الضعف وعدم الاستقرار التي مرت بها الدولة الإسلامية. (١)

ومن مظاهر نجاح هذه الحملة ونتائج الاستقرار الذي تعيشه أذربيجان أن بدأ الأشعث بن قيس يسير الحملات لمناجزة المدن القريبة من أذربيجان، إذ خرج سلمان بن ربيعة إلي مدينة البيلقان (٢) واستولي عليها وفرض عليها الإقرار بصغار الجزية، ثم واصل سيره نحو مدينة برذعة (٣) وخاض على أبوابها معركة حامية بعد أن استعصت عليه فضرب عليها الحصار إلي أن اضطرها إلي الإقرار بالجزية السنوية، ثم انتقل إلي القلاع والحصون الواقعة في جبال القوقاز (٤) وألزمهم الدخول في طاعة الدولة الإسلامية وأعاد فرض الجزية على هذه المناطق، ومن ثم عاد سلمان إلي أذربيجان بجيشه بعد تحقيق هدفه (٥).

---

(١) محمد علي عتالي، المسلمون في أذربيجان ومناطق الجبال، ص ٦٧ – ٦٨

(٢) البيلقان : تقع إلي الشمال من أذربيجان وهي من بناء بيلقان بن ارمني بن لنطي، وأعيد بناؤها في عهد الملك الفارس قباذ، عن ذلك انظر . الحموي، معجم البلدان، مجـ١، ص ٤١٩، لي استرنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢١٢.

(٣) برذعة الي الشمال من أذربيجان وكانت قديما تدعي برده دار، وهي من بناء الملك الفارسي قباذ، عن ذلك انظر الحموي، معجم البلدان، مجـ١، ص ٣٠٠ – ٣٠٢؛ البغدادي، مراصد الإطلاع، جـ١، ص ١٨٢.

(٤) دأب الجغرافيون والمؤرخون العرب الأوائل على تسمية مجموعة الحصون والقلاع الواقعة في جبال القوقاز على انها مدن وتسمية حكامها بالملوك، مع أنها حصون أو قلاع صغيرة أمثال قلعة الشابران والملكز وفيلان وطبرسران، وشروان وشهبوش. عن ذلك انظر اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ط بيروت، ١٩٨٠م، ص ١٦٨؛ ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ٢٨٦؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، جـ٢، ص ٣٤٤ – ٣٤٥؛ الحموي، معجم البلدان، مجـ١، ص ١٩٧

(٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ١٦٨، ابن أعثم الكوفي، المصدر السابق، جـ٢، ص ٣٤٤، ٣٤٥؛ عبد الباسط فاخوري، تحفة الأنام مختصر تاريخ الإسلام، ط بيروت، ص ٤١

وبالرغم من أن المصادر لم تذكر لنا سبب القيام بهذه الحملة على مناطق الجبال ولكن من المرجح أن هذه الحملة جاءت نتيجة إما نشاط عسكري لهذه المناطق يناوئ الحكم الإسلامي أو أنها قد نقضت عهودها السابقة مع الدولة الإسلامية ، وهذا هو الأرجح لأن هذه المناطق كانت أقرت سابقاً بالحكم الإسلامي لها مقابل الجزية السنوية وأن هذه المناطق اسمياً تعتبر خاضعة للدولة الإسلامية ولكن رسمياً وعسكرياً هي خارج نطاق هذه السيطرة لأن حكم المسلمين لها لم يكن مباشراً و دائماً ما يرتضون منهم دفع الجزية السنوية وهذا الوضع سوف يؤثر على المسلمين لاحقاً .

ولم يمض وقت طويل على حملة سلمان بن ربيعة إذ دهم أذربيجان جيش وجموع كبيرة من ثالوث الخزر والأرمن وسكان القوقاز المتحالف مع جيش من الدولة البيزنطية ، حيث أن سيطرة الدولة الإسلامية علي إقليم أذربيجان قد أزعج كثيرا الخزر والدولة البيزنطية وقطع أوصالهما ، ومنعهما من الاتصال المباشر مع حلفائهم الأرمن والقوقاز وتجمعت هذه القوى المتحالفة في مدينة شميشاط (١) .

وعلي مايبدو أن تحرك الخزر والبيزنطيين جاء ردا علي سيطرة الدولة الإسلامية على مناطق القوقاز وأرمينية وأرادوا استغلال إنشغال الدولة الإسلامية بأمورها الداخلية وبدأت جموعهم تستعد لمواجهة حاسمة مع الدولة الإسلامية .

وبدأ حبيب بن مسلمة يستعد لمقابلة هذه الجموع ولكن قلة ما معه من الجنود وكثرة هذه الجموع حالت دون خروجه السريع من المدينة وإرساله لطلب الإمدادات من الكوفة . فأرسلت إليه ستة آلاف من المقاتلين ، وبدأ في التحرك وسلك الطريق نحو مدينة شميشاط ، وفي الطريق إليها استولي على عدد كبير من المدن حيث دخل

(١) شميشاط:إلي الغرب من مدينة أردبيل وهي ضمن حدود أرمينية انظر الحموي،معجم البلدان، مجـ ٣ ، ص ١٥٥

أولاً مدينة خلاط (١) ثم أردفها بمدينة تفليس ، واستولي في الطريق بينهما على العديد من الحصون والقلاع وترك فيها حاميات إسلامية حتى لا تنقطع الصلة بينه وبين مستودع الإمدادات في مدينة أردبيل . ثم كان اللقاء مع جموع الخزر وحلفائهم البيزنطيين وتمكن من هزيمة هذه الجموع وفض تحالفها (٢) .

وفي أثناء هذه الحملة وقع الاختلاف بين الجنود حول قراءة القرآن الكريم ، فكان يوجد آنذاك أكثر من قراءة له ، لأكثر من فرقة ، ويري كل واحد منهم أن قراءته هي الصحيحة ويخطئ صاحب القراءة الأخرى ، وكاد هذا الخلاف يحدث شقاقاً كبيراً لولا أن تداركهم عثمان بن عفان بمصحف واحد جمع عليه الأمة وحرق ما عداه (٣) .

وعلى ما يبدو أن بعض مدن أذربيجان قد استغلت انشغال حبيب بن مسلمة في هذه الحملة واتساع البون الجغرافي بينه وبين القوات الإسلامية المتمركزة في أردبيل وأعلنت العصيان وخلعت طاعة الدولة الإسلامية ، مما اضطر الوليد بن عقبة أن يجهز جيشاً كبيراً سنة ٢٨هـ / ٦٤٨م وينطلق نحو هذه المدن ويعيدها إلي سيطرة الدولة الإسلامية بعد أن خاض معها عدد من المعارك (٤) .

---

(١) خلاط أحد أهم مدن أرمينية وهي عاصمتها واشهر مدنها وتقع إلي الغرب من أردبيل ، انظر : الحموي ، معجم البلدان ، مجـ ٣ ، ص ٢٤١ ، ابن الوردي ، خريدة العجائب ، ص ٤٣

(٢) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٢ ، ص ٥٩٢ ؛ ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، جـ١ ، ص ٣٤١ وللمزيد انظر
Mu re : The Caliphat, P. 203 , Hitti . Ahistory of syria, P 429 , walter E. kaege . Byzantium and the early◄slamic conquest, cambridge, P.196

(٣) وللمزيد عن تفاصيل هذا الخلاف انظر . اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ١٧٠ ؛ القلقشندي ، مآثر الإنانة ، جـ١ ، ص ٩٦ — ٩٧

Haurt : Histoire des Arab, tom.1 , P. 244 .

(٤) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ١٦٠ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، جـ١ ، ص ٣٦ .

موقعة بلنجر :

بعد هذه الانتصارات المتلاحقة التي حققها المسلمون مع خصومهم على الجبهة العسكرية سواء مع الخزر أو سكان القوقاز أو الأرمن أو تحالفهم جميعاً ، بدأ المسلمون في أذربيجان يفكرون جدياً في إحياء فكرة غزو بلاد الخزر والتي كانت قد تعطلت لوفاة عمر بن الخطاب ، ففي سنة ٣٢هـ / ٦٥٢م صدرت الأوامر لصاحب الفكرة عبد الرحمن بن ربيعة بغزو بلاد الخزر ، فتقدم بالجيش عبر مدينة باب الأبواب ، وعلى الجبهة الأخرى حيث استعد الخزر لهذه الموقعة أتم استعداد ، وما أن وصل عبد الرحمن مدينة البلنجر وجد نفسه أمام جموع هائلة لا قبل له بها واستعداداً حربياً يفوقه عدداً وعدة ، ومع ذلك التحم معهم في معركة فاصلة تمخضت عن هزيمة جيش الخلافة ومقتل عدد كبير من المسلمين (١) وفرار قلة قليلة منهم إلي مدينة الباب وجيلان وجرجان بل ومقتل قائد الجيش عبد الرحمن بن ربيعة (٢).

وبقراءة سريعة في خلفية وأسباب هزيمة البلنجر نذكر أن الطبري (٣) وابن الأثير (٤) قد ذكرا لنا سبباً للهزيمة في هذه الموقعة ، وتمثل في تبدل أحوال الناس في عهد عثمان بن عفان بما أصابهم من البطر ولاستعماله من كان قد ارتد – يقصد الأشعث بن قيس – استصلاحاً لهم فلم يصلحهم ذلك ، ولكن هناك عوامل وأسباب أخرى نري أنها كانت وراء هذه الهزيمة فكانت حملات المسلمين الأولي قبيل عهد عثمان بن عفان

---

(١) اشترك في هذه الحملة عدد كبير من الصحابة والصالحين أمثال سلمان الفارسي وأبو هريرة ويزيد بن معاوية النخعي ، ومعضد الشيباني وعمرو بن عتبة ، وأظهر هؤلاء الصحابة في المعركة دروبا من الشجاعة والإقدام ، واستشهد عدد كبير منهم في هذه المعركة ودفن بعضهم بالقرب من مدينة البلنجر . عن تفاصيل ذلك انظر الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٢ ، ص ٦٢٧ – ٦٢٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٣ ، ص ١٣١ – ١٣٣ ، محمد رشيد ، الفاروق عمر ، ص ٣١٢ .

(٢) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٦٢٧ – ٦٢٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٣ ، ص ١٣١ – ١٣٣ ؛ حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، ص ٢٧٧ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ، جـ٣ ، ص ٥٤٠ – ٥٤٣

(٤) الكامل في التاريخ ، جـ٣ ، ص ٢٩ – ٣٠

بمثابة حملات استطلاعية لمعرفة طبيعة وجغرافيا المنطقة وليس فتحاً منظماً ، الهدف منه إخضاع المنطقة خضوعاً كاملاً ، وإن كانوا يرتضون من حكام هذه المناطق – خاصة الخزر والقوقاز – بالجزية ويتركون حكم تلك المناطق لحكام محليين ، كما أن الجيوش الإسلامية كانت سرعان ما تعود إلي مراكزها الرئيسية سواء أكان في أذربيجان أو الكوفة ، وكان لقلة عدد جنود المسلمين في مواجهة خصومهم لا سيما في مواجهة جحافل الخزر دور إذ أن أعداد المسلمين دائماً ما كانت قليلة في مواجهة الخزر معتمدين في ذلك على شجاعتهم وحماستهم الدينية ، كما أن تنائي أطراف البلاد المفتوحة وبعدها عن مستودع القوة والإمداد كالكوفة والبصرة والشام ، أضف إلي ذلك ظهور نوع جديد من المقاومة تمثل في تحالف الخزر مع الأرمن والقوقاز وفي بعض الأحيان مع البيزنطيين ، ذلك بخلاف طبيعة المنطقة الجبلية والطقس القارص الذي لم يعتد عليه المسلمون ، وهناك سبب شخصي يعود إلي طبيعة عبد الرحمن بن ربيعة الذي تغلب عليه الحماسة أحياناً بحثاً عن نشر الإسلام انطلاقاً من ثوابت دينية وهذا ما جعله لا يأخذ بنصيحة شهربراز حاكم مدينة باب الأبواب من ني قبل ، وعثمان بن عفان الذي حذره من الإقبال على هذه الخطوة لتغيير أحوال الناس وانتقالهم إلي التمتع بالترف والملذات (١) ونري أن هذه العوامل كانت سبباً في وقوع مثل هذه الهزيمة وما يترتب على ذلك من حدوث حالة من الاختزال والانكماش في المد الإسلامي نحو بلاد الخزر والقوقاز.

استقرار العرب في أذربيجان :-

لما آلت الخلافة إلي علي بن أبي طالب (٣٥ – ٤٠هـ / ٦٥٦ – ٦٦١ م) أقر ولاية الأشعث بن قيس على أذربيجان ، الذي عمل على نشر الإسلام فيها وتعليم الناس القرآن

(١) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٢ ، ص ٦٢٧ – ٦٢٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٣ ، ص ١٣١ – ١٣٣ ؛ دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، ص ١٢٨

الكريم حتى غدت أذربيجان في ولايته بلدا إسلاميا صرفا وانتشر فيها تعليم وتعلم القرآن الكريم وغيره من العلوم الإسلامية (١) .

ولنا وقفة مع هذه المعلومة ، حيث ارتبطت ولاية الأشعث أذربيجان بنشر الإسلام بها ففي عهد عثمان بن عفان كان قد أسكن أذربيجان أناساً من العرب وأمرهم بدعوة الناس للإسلام ، وعلى ما يبدو أن هذه الخطوة أتت ثمارها في عهد علي بن أبي طالب فقد قابل الناس دعوة الإسلام بالقبول والاستحسان وانتشر بينهم الإسلام وتعليم وتعلم القرآن الكريم ، وإن كان البلاذري قد انفرد بذكر هذا الخبر فهناك ما يؤيده ، فقد ذكر الطبري (٢) أن القوة الإسلامية التي كانت ترابط بأذربيجان قوامها ستة آلاف جندي يستبدلون سنوياً بغيرهم ، وهذا يعني أنه قد مر على أذربيجان منذ الفتح حتى ولاية الأشعث الأخيرة اكثر من ستين ألفاً ، وبالرغم من أن مهمة هؤلاء الجنود عسكرية وسياسية في المقام الأول ، فإن ذلك لم يحل بينهم وبين دعوة الناس للإسلام والاختلاط بينهم ، أضف إلي ذلك ما قام به أهل العطاء العرب الذين أسكنهم الأشعث المدينة من دعوة الناس للإسلام والاختلاط بالسكان الأصليين ، فليس من المستغرب إذاً أن تتحول البلد نحو الإسلام في ولاية الأشعث بن قيس كما أنه ليس من قبيل المبالغات .

وما يؤيد ذلك التفسير ما ذكره البلاذري (٣) من أن الأشعث بن قيس قام خلال ولايته أذربيجان زمن علي بن أبي طالب بإسكان أردبيل عاصمة أذربيجان جماعات أخرى من العرب وقام بتمصيرها (٤) وبني مسجدها ومعني تمصير المدينة أنه قد بلغ من اهتمام الخلفاء الراشدين بها أنها صارت عاصمة لإقليم ليس لأذربيجان وحدها بل

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٤ .
(٢) تاريخ الأمم والملوك ، جـ٢ ، ص ٥٩١ ــ ٥٩٢ .
(٣) فتوح البلدان ، ص ٣٢٤ ــ ٣٢٥ .
(٤) المصر في الأصل الحد بين شيئين ، والمقصود به البلد الذي تجمع فيه الدواوين وتنطلق منه الأعمال وتضاف إليه مدن الإقليم التابعة له وتكون ضمن أعماله ، عن ذلك انظر : الحموي ، معجم البلدان ، مجـ١ ، ص ٤١ ؛ فتحي عثمان ، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري ، جـ١ ، ط القاهرة ، ص ٣٠

لآسيا الوسطى والقوقاز وهذا هو قمة الهرم الإداري لمدينة غير المدن الرئيسية في الدولة الإسلامية ، وليس معني قيام الأشعث ببناء مسجد للمدينة أنه لم تكن هناك أماكن للصلاة فيها قبل قيام الأشعث ببناء هذا المسجد ، إذ أنه من المؤكد أن وجود جماعة إسلامية في مكان ما يواكبه عادة تحديد أماكن للعبادة ، ونخلص من ذلك إلي القول بأن حديث البلاذري ينصب على المسجد الجامع الذي سبقته بالضرورة أماكن أخرى للصلاة ولا يختلف الأمر أن هذه الأماكن كانت تحمل اسم " مصلى " أو " مسجد " أو أي كلمة أخرى مرادفة . ويمكن القول أن المسلمين بالمدينة قد ازداد عددهم إلي درجة احتاجوا فيها إلي وجود مسجد جامع فكان هذا المسجد الذي قام الأشعث بن قيس ببنائه .

وقبيل انتهاء ولاية الأشعث بن قيس لأذربيجان نزح عدد كبير من عرب البصرة والكوفة إلي أذربيجان واستقروا بها ، وكان انتشارهم في نواحي عدة منها ، فابتاعوا الأرض واستصلحت وألجئت (١) إليهم القرى للخفارة والحماية (٢) .

وحتى لا يحدث خلط بين استقرار ونزول العرب أذربيجان وبين ما يعرف الآن بالاستعمار ، فيجب أن نعرف أن الدولة الإسلامية لم تكن تعترف بالحدود الإقليمية داخلها ، بمعني أن أي عضو في هذه الدولة كان يحق له أن ينتقل من بلد إلي آخر دون عائق وأن يتخذ موطنه حيث تحلو له الحياة ، ففي الوقت الذي استوطنت فيه بعض الأسر

---

(١) هناك ظاهرة قديمة تسمي الإلجاء ، فقد كان صغار الملاك الزراعيين يضطرون _ أمام تزايد هجمات اللصوص وقطاع الطرق على أرضهم – إلي إلجاء أو إسناد مهمة حماية هذه الأرض إلي الأقوى من كبار ملاك الأراضي الزراعية ، وكان هذا النظام متبعاً في الأراضي الزراعية الفارسية والرومية قبل الإسلام ، وبموجب هذا الإلجاء كانت ملكية الأرض تؤول تدريجيا إلي الأقوى ويصبح ملاكها الأصليون مجرد مزارعين فيها ، وقد ألجأ سكان أردبيل بعض نواحيها الثانية إلي المسلمين الذين نزحوا إليها مقابل حمايتها ، وحدث ذلك لاحقاً مع مدينة المراغة في العصر الأموي ، ولم يكن يحدث هذا الإلجاء في عصر الدولة الإسلامية إلا في المناطق النائية أو تلك التي تكون في مرمي الهجمات العسكرية ، وورد في الشرع الإسلامي أن من كان تحت يده أرض خراجية فعجز عن زراعتها وعمارتها أجبر على أحد أمرين ، إما يؤجرها للمسلمين أو يتركها ، لأن الأرض في الأصل إنما هي للمسلمين ولا يحور تعطيلها عليهم . انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٤٢ – ٣٥٢ ، ، الحموي ، معجم البلدان ، مجـ٤ ، ص ٢٣٨ ، السيد سابق ، فقه السنة ، جـ٣ ، (د بين) ، ص ٩١

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٤ – ٣٢٥ ؛ ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٨٤

العربية أذربيجان ، نجد أن بعض سكان المدينة قد انتقل إلي أقاليم أخرى واستوطنوها كما لا توجد امتيازات يحق للعرب الذين استوطنوا أذربيجان وغيرها أن يتمتعوا بها على حساب السكان الأصليين ، أي أنهم لم يكونوا يشكلون أرستقراطية عنصرية بين أهل البلد ويذكر هنا أن العرب حين يستوطنون مدناً جديدة يمتزجوا بالسكان الأصليين لدرجة أن جذورهم الأصلية تتلاشى وتنسى مع مرور الأيام (١) .

ولما نشب الخلاف بين على بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، وعاشت الدولة الإسلامية فترة مظلمة في تاريخها ، وبالرغم من أن هذا الخلاف قد طال أمداً فإن أذربيجان قد ظلت على حال استقرارها ، ولم تخرجها هذه الفتنة عن حالها ، وهذا الاستقرار الذي دفع بعلي بن أبي طالب أن يستدعي الأشعث بن قيس منها (٢) لأنه اطمأن إلي جانبها واستناب عليها قيس بن سعد بن عبادة ، وأمره بدعوة الناس إلي الإسلام (٣) .

---

(١) محمد كرد على ، الإسلام والحضارة العربية ، جـ١ ، ص ١٧١ ــ ١٧٢ ، حامد غنيم أبو سعيد ، انتشار الإسلام حول بحر قزوين ، ص ١٧٢ ــ ١٧٧ ، فوزي مصطفي ، دراسة في تاريخ عرب آسيا الوسطى ، مجلة دراسات تاريخية ، العددان ٨١ ــ ٨٢ ، أذار ــ حزيران العام ٢٠٠٣ م ، ص ٩٨ .

(٢) نص كتاب استدعاء الأشعث بن قيس على الآتي : " أما بعد فلولا هنات كن فيك كنت أنت المقدم في هذا الأمر قبل الناس ، فلعل أمرك يحمل بعضه بعضاً إن اتقيت الله ، وكان من بيعة الناس إياي ما قد بلغك ، وكان طلحة والزبير أول من بايعني ثم نقضا بيعتي من غير حدث ، فصرت إليهما في المهاجرين والأنصار فلتقينا ، فدعوتهما أن يرجعا إلي ما خرجا منه فأبيا ، فأبلغت في الدعاء وأحسنت في التقية ، وأن عملك ليس لك بطعمه ، ولكنه أمانة في عنقك ، والمال مال الله وأنت من خزانني عليه حتى تسلمه إلي إن شاء الله ، وعلى أن لا أكون شر ولاتك " . انظر : الدينوري ، الإمامة والسياسة ، جـ١ ، ط القاهرة ، ١٣٢٨ هـ ص ٨١ ، ابن عبد ربه الأندلسي ، تاريخ الخلفاء ، ص ١٤٦ ــ ١٤٧ ، ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ط القاهرة ، ١٢٩٩هـ / ص ٥ ، المقري ، وقعة صفين ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ط بيروت ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م ، ص ٢٠ ــ ٢١

(٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٢٠٢